



Identity and Culture: A Socio-Anthropological Approach

Dr. Hassan Ali



Received: 5/6/2020

Revised: 9/7/2020

Accepted: 19/8/2020

Published online: 23/9/2020

* Corresponding author:

Email:
haceneali82@gmail.com

Citation: Ali.H.(2020). Identity and Culture: A Socio-Anthropological Approach. International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences; IJJA, 2(3).

<https://doi.org/10.65811/233>

Copyright:

The Author (s) ©2020. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) license.

<https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>

International Jordanian journal
Aryam for humanities and social
sciences: [Issn Online 2706-8455](https://doi.org/10.65811/233)

Abstract

Culture is a social behavior, and an important concept in social studies in general, and a standard found in human societies, where it transcends place, time, conditions and people, and its importance in the context of the process of social learning and highlighting the cultural values and identity of societies, with the help of all the sciences and arts founding them, and preserving them. Thus, we can only understand the essence of social relations through societal identity and culture.

Keywords: philosophy, identity, culture, sociology, anthropology.

الهوية والثقافة - مقارنة سوسيو- أنثروبولوجية

د. حسن عالي

الملخص: الثقافة هي سلوكي اجتماعي، ومفهوم مهم في الدراسات الاجتماعية عموماً، ومعيار موجود في المجتمعات الإنسانية، حيث تجاوز المكان والزمان والأحوال والأشخاص، وتبرز أهميتها في إطار عملية التعلم الاجتماعي وإبراز القيم والهوية الثقافية للمجتمعات، مستعينة بذلك بجميع العلوم والفنون المؤسسة لها، والمحافظة عليها. وبالتالي لا يمكننا فهم جوهر العلاقات الاجتماعية إلا من خلال الهوية والثقافة المجتمعية.

الكلمات المفتاحية: فلسفة، الهوية، الثقافة، السوسيولوجيا، الأنثروبولوجيا.

المقدمة:

مفهوم **الثقافة** بمعناه الواسع والذي أصبح اليوم متفق عليه عموما يشير إلى طرق العيش وإلى طرق التفكير، بينما في الماضي القريب (ابتداء من القرن 18 بأوروبا) شكلت كلمة **ثقافة culture**، موضوع جدال ونقاش حاد خاصة حول كيفية تطبيقها على بعض الحالات لان استعمالها يشير قبل كل شيء الى ما هو معنى رمزي، وهذا من شأنه أن يثير خلافات في الجانب اللغوي والجانب الفكري، لهذا أصبحت العلوم الاجتماعية ملزمة باتخاذ موقف علمي إزاء الكلمة التي تأسست كمفهوم. ولذلك تقتضي دراسة واضحة لتطور مفهوم الثقافة التاريخي وكيفية اكتسابه المعنى العصري الحالي، الذي لا يخلو من اتجاهات ومختلف النظريات.

فالمعنى الاستمولوجي للثقافة يتعلق بالفلاحة Agriculture أي فلاحه الأرض، أما معناه المجازي يقصد المجهود الفكري وهي نتيجة مجموعة من المعارف المتعلقة بمختلف العلوم أو الفنون..ومن جهة أخرى يقصد به تنظيم هذه المعارف، وكل ما يجعلها حقيقة منظمة ومدمجة لكي تشكل الكل المنسجم.¹ أما المعنى السوسيولوجي للثقافة "فهو يُعبر عن مجموعة الصفات التي يتكون منها نمط الحياة الخاص بكل مجموعة اجتماعية".²

مشكلة البحث:

ضرورة إلقاء الضوء والاهتمام بموضوع الثقافة والهوية، وما لهما من قيمة وتعبير اجتماعي، في ظل أزمة الأخلاق العالمية، التي نشهدها، بسبب العولمة الثقافية والاستلاب الفكري، الذي أصبح مهدد حقيقي للهويات الثقافية والكيانات الاجتماعية.

تساؤلات البحث:

١. أين يكمن دور الثقافة في التأسيس للمجتمعات اليوم؟.
٢. ما هي أشكال وأنماط الثقافة؟.
٣. كيف تحافظ الثقافة على هوية المجتمعات وتقدمها على المستوى الفكري والمعرفي؟.

أهمية البحث:

إن الاهتمام اليوم بموضوع الثقافة كعنصر هام وفعال، لدى الأفراد والمجتمعات، أصبح ضرورة ملحة، أكثر من أي وقت مضى، لأنها تعبر عن هوية المجتمع وانتماءاته الثقافية وما تتضمنه من فلسفة تؤسس لمفاهيم مرتبطة أساسا بالدين والمجتمع.

¹Geneviève Vinsonneau « Culture et comportement » Armand Colin Paris 1997 p52

²G.VinsonneauIbid, p52

مصطلحات الدراسة:

١. **الثقافة:** مفهوم الثقافة كمصطلح علمي تعدد عبر التاريخ، وتداخلت استعمالاته، وأصبح في الوقت الحالي مفهومها يكتسي معاني مدققة، خاصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية وهذا راجع إلى ظروف استعماله من طرف المفكرين الذين مارسوا أبحاثاً في هذا المجال وأسسوه كمصطلح له معنى ومضمون.

٢. **الهوية:** الهوية مصطلح معاصر، شاع بين المجتمعات بسبب ظاهرة العولمة وما صاحبها من احتكاك ثقافي، وما نتج عنه ظواهر سلبية كالتثاقف والاستلاب الثقافي وغيرها من الظواهر التي أصبحت تهدد وجود ثقافات الشعوب المغلوبة على أمرها وعلى رأسها المجتمعات العربية؛ فكان لابد من إيجاد حل للتصدي لكل ما يمكنه المساس بثقافتهم.

٣. **المنظور السوسيولوجي:** السوسيولوجي الكندي دورايس (Louis-Jacques Dorais)^٣ يُعرف الهوية على أنها "ليست ثابتة، ولكنها تتصف بديناميكية التي تبرز عندما تُستخدم". فهذا الاستعمال للهوية يبرز حسب الطريقة التي نتصرف بها لكي نبرهن عن من نحن؟ عندما نقوم بالتعامل مع العناصر الإنسانية أو غير إنسانية المحيطة بنا.

٤. **المنظور الأنثروبولوجي:** عرف الثقافة الأنثروبولوجي الانجليزي^٤ مالينوفسكي (Malinowski) على أنها: "نظاماً كلياً بعناصر متداخلة ليس من المهم معرفة مكان العنصر أو السمة في ذلك الكل المتماسك وان المهم والمفيد معرفة وظيفة السمة بنظرة اجمالية باعتبارها فاعلة في البناء المؤسسي".

١ مفهوم الثقافة عند الألمان:

نظرا لما اكتسبه مفهوم الثقافة من عدة معاني عند المفكرين الألمان، من خلال ما ورد في مؤلفاتهم التي تتناول أوضاع الشعوب البدائية التي درسوها، قد ظهر تصادم أو تداخل بين كلمة ثقافة وكلمة حضارة، فسنبين معانيهما خاصة عند بعض الباحثين الألمان الذين أعطوا فرقين متميزين للمفهومين: ونشير هنا خاصة الى أعمال ألفريد وير (Alfred Weber) وأعمال فاردنارد تنييس (Ferdinand Tönnies).

التمييز الأول بين المفهومين: كما وضحه روشي^٥ (GUY ROCHER) في كتابه "مدخل إلى علم الاجتماع العام" بين موقف المفكرين الألمان الذي دمجوا في مفهوم الثقافة مجموع "الوسائل الجماعية" التي يتوفر عليها الإنسان، لكي يتحكم أو يسيطر محيطه الفيزيائي أي الطبيعي، وبذلك يشيرون الى ادماج كل ما هو علوم وتكنولوجيا والتطبيقات الناتجة عنهما.

³Louis-Jacques Dorais « La construction de l'identité ». Département d'anthropologie. Université Laval. page 3

^٤د محمد العربي ولد خليفة المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية الجزائر منشورات ثالة ٢٠٠٧ ص ٥٠

⁵GUY ROCHER «Culture, civilisation et idéologie», Introduction à la sociologie générale. Première partie: l'action sociale, chapitre IV, pp. 101-127. Montréal: Éditions Hurtubise HMH ltée, 1992, troisième édition

أما مفهوم **الحضارة** حسبهم، يشمل على "الوسائل الجماعية" التي يستعين بها الإنسان لكي يتحكم في نفسه ويتطور فكريا وخلقيا وروحيا. فيعتبرون بأن الفنون و الفلسفة والدين والقانون هم نتائج للحضارة.

أما التمييز الثاني: فهو عكس الأول، بحيث مفهوم **الثقافة** شمل على الأوجه أو الصفات المجردة والأكثر روحية للحياة الجماعية، فهي نتيجة التأمل والفكر المجرد الذي يحمل الإحساس والمثالية. وكلمة **حضارة** تطلق على كل "الوسائل التي توفر رغبات نفعية، ومادية للإنسان" وبهذا الحضارة تكتسي صبغة عقلانية، فرضت من طرف التطور للوسائل والعمل و التكنولوجيا.

٢ مفهوم الثقافة واستعمالاتها عند الأنثروبولوجيين:

مفهوم الثقافة كمصطلح علمي تعدد عبر التاريخ، وتداخلت استعمالاته، وأصبح في الوقت الحالي مفهومها يكتسي معاني مدققة، خاصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية وهذا راجع إلى ظروف استعماله من طرف المفكرين الذين مارسوا أبحاثا في هذا المجال وأسسوه كمصطلح له معنى ومضمون، فمن الضروري أن نلقي نظرة على أهم المفكرين الذين استعملوه في مجالات أبحاثهم، لكي يتبين لنا ما وصل إليه هذا المصطلح من دقة في المعنى ووضوح في الميدان المعرفي، بفضل اهتمامات بعض الأنثروبولوجيين الذين مارسوا أبحاثا ميدانية تهدف إلى تحديد معنى "الثقافة" فسندكر أهم هذه البحوث:

* استعمل لفظ الثقافة من طرف الأنثروبولوجيا الانجليزية، وأبرز من يمثلها **تايلور (Taylor)** **Primitive culture** « « "الثقافة البدائية" ١٨٧١م أين استوحى معنى الثقافة من أعمال **كلايم (G.Klemm)** الذي سبقه ونشر موسوعة حول **(التاريخ العالمي للثقافة الإنسانية)** فاقتبس من أفكار (كلايم) الكثير من المعطيات لكي يبني بها مصطلح الثقافة التي تُعتبر عنده مرادفة للمصطلح "حضارة" قائلا: "إن الثقافة أو الحضارة بمعناها الاثنوغرافي الواسع، هي جملة معقدة تحتوي على المعارف والاعتقادات والفن والقانون والأخلاق والعرف وكل الاستعدادات والتصرفات التي يكتسبها الانسان بصفته عضو من المجتمع".^٦

فهذا الوصف لمفهوم الثقافة أو التوضيح يعتبر وصف يشمل مجموعة من الظواهر التي يمكن ملاحظتها وتتبعها كما قام به **تايلور**.

وقد سبق أن أنتقد **تايلور** من طرف بعض الأنثروبولوجيين، بأنه طابق بين مفهوم الثقافة وبين مفهوم الحضارة و بهذا يُعد من طليعة المفكرين الذين عملوا على تطوير لفظ "الثقافة" ووضعه كمصطلح ومن ثمة كمفهوم.

⁶GUY ROCHER «Culture, civilisation et idéologie», Introduction à la SOCIOLOGIE GÉNÉRALE. Première partie: L'ACTION SOCIALE, chapitre IV, pp. 101-127. Montréal: Éditions Hurtubise HMH ltée, 1992, troisième édition. p 01

وبهذا فأصبح مفهوم الثقافة متناول من طرف السوسيولوجيين الأمريكيين مثل: بورجس (Burgess) وسمول (Small) وبالأخص أوجبرن ((Ogburn لكن المصطلح لم يعرف تداولاً قوياً نظراً لعدم استعماله من طرف السوسيولوجيين الأوروبيين أمثال: دوركايمفير، كونت (Comte, Marx Weber, Durkeim) وبالرغم من ذلك أصبح مصطلح الثقافة متداول بعلم الاجتماع خاصة لدى جيل السوسيولوجيين الفرنسيين المعاصرين بعد الحرب العالمية الثانية الذين أعطوا اشهار لما يسمى بالثقافة الشعبية la culture populaire.

واستعمال اللفظ من طرف باحثين من خلال دراستهم لحياة أو تصرفات بعض المجتمعات التي قاموا بملاحظات بنواحي مختلفة من العالم، سواء منهم الباحثين الألمان أو الانجليز أو الفرنسيين أو الأمريكيين، وبفضل هذه المساهمات العلمية والميدانية الجديدة التي وسعت تدريجياً آفاق البحوث في هذا الحقل، فبدأ شيئاً فشيئاً يعرف اللفظ تدقيقات وتوضيحات مرتبطة بمعناه المجازي، الى أن قام كمصطلح (أي لفظ الثقافة) له دلالة واضحة وبدون أن يفقد طبعاً، معناه الاصلي الذي هو "الحقل المحروث والمزروع".

*وعرف الثقافة الانثروبولوجي الانجليزي^٧ مالينوفسكي (Malinowski) على أنها: "نظاماً كلياً بعناصر متداخلة ليس من المهم معرفة مكان العنصر أو السمة في ذلك الكل المتماثل وان المهم والمفيد معرفة وظيفة السمة بنظرة اجمالية باعتبارها فاعلة في البناء المؤسسي".

*كما نذكر ما حدده السوسيولوجي روشي^٨ (GUY ROCHER) عن مفهوم الثقافة عنده وهي "الكل المرتبط بطريقة تفكير و احساس وتدخل منظم الذي هو مكتسب أو متقاسم من طرف عدد من الأفراد فغايتها تكوين كتلة مميزة متكون من الأفراد وتكتسي صبغة ذاتية وموضوعية و رمزية".

*والثقافة أيضاً عند الانثروبولوجي الأمريكي لينتون (Ralph Linton)^٩ الذي قدم أدوار الأفراد في الثقافة فقال بأن: "الثقافة تشكيل عام للتصرفات المكتسبة و أين تأخذ منها عناصر و تعتمد عليها ثم تنقل من طرف من أعضاء مجتمع معين" فالثقافة عنده أيضاً تراث اجتماعي للبشرية جمعاء، وهي نوع معين من الميراث الاجتماعي الناجم عن المؤسسات الرئيسية لجماعة منظمة من الأفراد.

*كما أن الثقافة في مفهومها الواسع عند الانثروبولوجية الأمريكية الشهيرة مارغريت ميد (Margaret Mead)^{١٠} (١٩٠١-١٩٧٨) سنوضحه من خلال ما كتبه حول "التواصل الثقافي" الذي حددته بما يلي:

^٧ د محمد العربي ولد خليفة المسألة الثقافية و قضايا اللسان و الهوية الجزائر منشورات ثالة ٢٠٠٧ ص ٥٠

^٨ GUY ROCHER «Culture, civilisation et idéologie», Introduction à la SOCIOLOGIE GÉNÉRALE. Première partie: L'ACTION SOCIALE, chapitre IV, pp. 101-127. Montréal: Éditions Hurtubise HMH ltée, 1992, troisième édition. p 04

^٩ G. Vinsonneau, opcit p52

^{١٠} www.varenne.tc.columbia.edu le 24/02/2013 par Hervé Varenne

ركزت أبحاثها على الكيفية التي يتلقى بها الفرد ثقافته وما ينجر ويترتب عنها من أثر على تكوين شخصيته، فهي وضعت في صميم أبحاثها وتحليلها كل ما يخص طريقه التواصل الثقافي في تنشئة الشخصية عند الفرد.

ولهذا الغرض قامت بدراسة وتحليل كل الأنماط التربوية الموجودة أمامها حتى تتمكن من فهم كيف تُرسخ الثقافة عند الفرد ثم تشرح الصفات الرئيسية التي تبلور شخصيته نتيجة هذا التفاعل. فميدان ترسيخ ثقافة مُميزة لدى الأفراد من خلال ما تلقوه من تربية خاصة من طرف مجتمعهم.

عكس ذلك قبيلة **شومبولي Chambuli** لهم تربية تختلف عن السابقتين، فهم يميزون بين الذكر والأنثى، وتعطى تربيته مميزات لكل منهما منذ الصغر، فتنشأ الطفلة على طبع حيوي ونشط ومتحالة مع النساء الأخريات وهي التي تملك السلطة الاقتصادية والمعيشية للقبيلة، أما الذكور فيصبحون عند الرشد حساسين، يهتمون بنشاطات وطقوس وأفراح ويتنافسون بينهم على ذلك، وتقول بهذا الصدد: "إن الطبع عند الفرد ليس ذكوري أو أنثوي فلا أثر للجنس على شخصية الفرد بل هذا راجع إلى التأثير الثقافي القوي من خلال التربية التي تلقن له منذ الطفولة الأولى".¹¹

* أما **فرانس بواس (F. Boas)** هو أنثروبولوجي أمريكي من أصل ألماني، تطرق لأعماله (**Pierre Bonte Izard**) في قاموس **الأنثروبولوجيا والأثنولوجية**¹² (نظرا لأن مؤلفاته بالألمانية والانجليزية لم تترجم إلى اللغات أخرى) فاعتبره كمؤسس الأنثروبولوجية الأمريكية، له دراسة عن العرق و اللغات و الثقافات، قال عنه.

* ونجد كذلك الاثنولوجي الفرنسي **نيكولا (Journet Nicolas)** من خلال كتابه "الثقافة من العالمي إلى الفردي"¹³ وضح اتجاه **بواس** الذي يعتبر: "الثقافة كجُملة متكونة من المعتقدات والعادات والتنظيمات الاجتماعية، التي بفضلها تتميز وتنفرد مختلف المجتمعات"¹⁴ وبهذا فهو يكون ورث مفهوم -Kultur- الألماني الذي معناه "حضارة" والذي يُطلق عليه معنى " المجموعة الروحية المُدمجة" وهو مفهوم تبنته الأنثروبولوجية الأمريكية.¹⁵

ومن بين توجهاته النظرية يُؤكد بأنه لا وجود لثقافة أحادية هي أم كل الثقافات بالمعنى المعياري لمصطلح ثقافة... ولا يعترف بهيمنة ثقافة مرجعية صالحة لكل البشرية.¹⁶

* ومن المهم أيضاً ذكر الثقافة عند **الانثروبولوجي والاثنولوجي الفرنسي الشهير كلود ليفي ستراوس (Levi Strauss)**¹⁷ الذي تخصص في دراسة الثقافات العتيقة بأمريكا اللاتينية، والذي اعتبر بان

¹¹ [Margaret Mead](#) « Mœurs et sexualité en Océanie » Paris : Plon 1955 p252

¹² Pierre BONTE et Michel Izard (dir) : « Franz BOAS » in Dictionnaire d'Ethnologie et d'Anthropologie. PUF. Paris. 2008 (1^{er} édit. 1991) - pp.116-118.

¹³ Journet, Nicolas : « La culture, de l'universel au particulier », Editions Sciences Humaines. Paris. 2002

¹⁴ J. Nicolas Ibid

¹⁵ J. Nicolas Ibid

¹⁶ د محمد العربي ولد خليفة المسألة الثقافية و قضايا اللسان و الهوية الجزائر منشورات ثالة ٢٠٠٧ ص ٤٦

الثقافة، هي: "مجموعة من الأنساق الرمزية تنصدرها اللغة و القواعد التي تقوم عليها روابط القرابة والعلاقات الاقتصادية و منتوج الفن والعلم والدين تُعبر كل هذه الأنساق عن الواقع الفيزيائي الطبيعي والواقع الاجتماعي، وعما هو أكثر من ذلك إذ أن الأنساق الرمزية تعبر عمّا بين الواقعين السابقين من علاقات وعما بينهما هي نفسها كأنساق بينيه" (كتابه -المناطق المدارية الكئيبة- Tristes Tropiques ١٩٥٥).

*وقد وضح دنييس كوش (^{١٨} Denys Cuch) الانتروبولوجي الفرنسي، بأن الثقافة (بمفهومها الواسع): "تمكن الإنسان من التلاؤم مع وسطه الطبيعي وكذلك لتلاؤم وسطه إلى ما يرضاه هو من حاجيات، ومن مشاعر، أي بفضل الثقافة يمكنه تحويل الطبيعة. بالرغم من أن الأفراد يملكون نفس المكتسبات البيولوجية، فهم يختلفون في اختياراتهم الثقافية، فكل مجتمع يخترع حلوله الخاصة لمواجهة المشاكل التي تقوم أمامه..."

٣ - مفهوم الهوية:

الهوية مصطلح معاصر، شاع بين المجتمعات بسبب ظاهرة العولمة وما صاحبها من احتكاك ثقافي، وما نتج عنه ظواهر سلبية كالتثاقف والاستلاب الثقافي وغيرها من الظواهر التي أصبحت تهدد وجود ثقافات الشعوب المغلوبة على أمرها و على رأسها المجتمعات العربية؛ فكان لابد من إيجاد حل للتصدي لكل ما يمكنه المساس بثقافتهم.

فنشأ مفهوم الهوية وتعددت تعاريفه، وحمل مضامين أخرى، كما ارتبطت بالثقافة فأنشأ مصطلح **الهوية الثقافية**، ويصعب إعطاء تعريف لمفهوم الهوية وعليه سنحاول ذكر أهم ما كتب حول هذا المصطلح حديث النشأة على ساحة العلوم الاجتماعية، والذي أصبح مستخدم بصفة قوية في هذا المجال، ومقرون خاصة بعلم النفس و علم الاجتماع، ويتمتع بسمعة هذه العلوم وما تعطيه من تفاسير لقضايا الإنسان:

المعنى اللغوي للهوية:

لفظ **هوية** مشتق من الضمير " هو " أما مصطلح "**الهو هو**" المركب من تكرار "هو" فقد تم وصفه كاسم معرف ب "ال" ومعناه "الاتحاد بالذات"... كما أن مفهوم "**الهوية**" يشير إلى ما يكون به الشيء هو هو أي من حيث تشخصه وتحققه في ذاته وتميزه عن غيره، فهو وعاء الضمير الجمعي لأي تكتل بشري، ومحتوى لهذا الضمير في نفس الآن بما يشمل من قيم وعادات ومقومات تكيف وعي الجماعة وإرادتها في الوجود و الحياة داخل نطاق الحفاظ على كيانه.

¹⁷G.Vinsonneau OP cit page 40

¹⁸(Denys Cuch) « la notion de culture dans les sciences sociales » La découverte Paris 2001p04

فمفهوم الهوية عرف استعمالاً متزايداً ولكن لم يُدقق معناه الصحيح، أي لم يتبين لدى الكثير، ما يقصده به مفهوم "الهوية"... وحالياً أصبحت التساؤلات قائمة لمعرفة الهوية والكثير يدمجونها في الثقافة إلى درجة أن البعض يصفوا الأزمات الثقافية كأزمات هوياتية.

فالهوية صار لها معنى التحمس Exaltation للفروقات، مثل ما وقع في السبعينات، بحيث بعض الحركات الايدولوجية المتفرقة، صاروا يُمجّدون بالمجتمع متعدد الثقافات multiculturelle وآخرون قاموا ضدهم لتمجيد الثقافة الأصلية، قائلين: "كل في وسطه لكي يبقى هو ذاته".¹⁹

وبالانتقال إلى مرحلة مقارنة المفهوم اصطلاحياً، يمكن القول أن الهوية هي مجموع السمات و المميزات التي تميز الفرد عن الجماعة كما تميز فرداً عن آخر بل وجماعة بشرية عن أخرى، وأمة عن أمة أخرى، نظراً للاختلاف الموجود بين الأمم من الناحية الجغرافية و الثقافية، والاجتماعية، والنفسية، واللغوية، والعرقية.²⁰

4- الهوية عند المفكرين الغربيين :

برز مفهوم الهوية عالمياً منذ نهاية خمسينيات القرن العشرين خاصة بالولايات المتحدة الأمريكية لظهور مشكل الأقليات ومسألة الاثنيات، ومع ظهور الصراعات الفكرية والايديولوجية التي أصبحت تهدد ثقافات المجتمعات وحضاراتها، فاهتمت العلوم الانسانية بدراسته.²¹

فالهوية حسب قواميس الفكر الفلسفي الأوربي هي "الذات" أو "الأنا" تُقابل الآخر والذات "le أنا" mème لا معنى لها سوى أنها المقابل لـ "الآخر" (الغير) أو تعارض أو تضاد، أو أنها أي (الأنا) المطابق لنفسه المعبر عنه بـ "الهوية" أي كون الشيء هو هو عين نفسه.²²

* ويوضح السوسيولوجي الفرنسي ألفرد كروسر (Alfred Grosser) مفهوم الهوية بأنها من المفاهيم القليلة التي حظيت بالتضخم والاهتمام، بحيث أصبحت الهوية شعاراً طوطمياً وأصبح بديهاً أن يحل كل الإشكاليات المطروحة، مثل خطاب الهوية أي تلك الخطابات التي تقوم في أسسها الفكرية على تصور خاص للهوية، التي يمكن التمثيل لها بالتيارات القطرية والقومية والوحدوية والإسلامية، وسياسات الهوية أي السياسات التي تمثل الهوية مصدراً لشرعيتها وسندا لها كحقوق الأقليات في تقرير مصيرها أو الصراعات الأهلية وسلطات الحكم الذاتي.

فمصطلح الهوية، مفهوم متعدد الأبعاد، سواء كانت ثقافية أو دينية او سياسية وكذلك يترتب عنها تيارات فكرية والتي بدورها ينجم عنها صراعات.

* أما ماكس فيبر (Max Weber) في كتاباته يؤكد بأن مفهوم الهوية ظهر بداية، في كتابات الفيلسوف والطبيب النفساني الألماني ولهمل (Dilthey Wilhelm) ²³، وقد جعل ماكس

¹⁹ Denys Cuche « La notion de culture dans les sciences sociales » Repères La Découverte, FranceParis 2001p 83

²⁰ بقلم الأستاذ رشيد عويضة 09/03/2013 le 1419 post/index.php/www.aafaqcenter.com

²¹ بيار يونت، وميشال ايزار ترجمة مصباح الصمد معجم الاثنولوجيا والانثروبولوجيا لبنان

²² www.aljabriabed.net/france_identite.htm le 19 03 2013

²³ www.id.erudit.org/iderudit/203138ar Laurent Giroux

فيبر (Max Weber) المفهوم على مستويين يتعلق أولهما بما يطلق عليه **دلتاي** اسم الصورة الكونية التي تؤلف الكتلة الأساسية للمعتقدات والمسلّمات الافتراضية عن العالم الحقيقي الواقعي، التي يمكن في ضوءها وبالإشارة إليها يمكن الوصول إلى إجابات شافية حول مغزى الكون والوجود. ويتعلق المستوى الثاني بالسياق التصوري الواعي والإرادوي الذي تضع فيه الذات الجمعية نفسها ضمن تقسيمات العالم الواقعية أو المركبة من النواحي الثقافية في الأصل، لكن أيضا من النواحي الأخلاقية والاجتماعية والثقافية. و لا ننسى أن الفيلسوف **دلتاي** ينظر إلى الهوية من بعد فلسفي ومن الجانب النظري.

*والفيلسوف السوسيولوجي الفرنسي **موران (Edgar Morin)** بخصوص الهوية، قد ركز على محاولة الإجابة عن سؤال من هو الإنسان؟ وهويته؟ وأقر بأن الهوية الإنسانية هي هوية قائمة على الكثرة، كثرة من صلب الوجود الإنساني ذاته، كثرة تتجلى في كون الإنسان هو كائن صانع وكائن اقتصادي وكائن المعرفة وكائن الانفعالات والرغبة، وهو الكائن الخير كما هو الكائن القادر على الإتيان بمختلف أصناف الشر...

لذلك لا يمكن مقارنة الإنسان من جهة الوحدة ولا تعيين هويته كهوية بسيطة، فالهوية الإنسانية هي هوية مركبة، وسواء تعلق الأمر بالأفراد أو بالثقافات فنحن أمام واقع إنساني يرتبط بالكثرة كما تتجلى في مفهوم "الهوية المركبة".^{٢٤}

وقد يوضح **موران (Edgar Morin)**^{٢٥} بأن هوية كل شخص تبني انطلاقاً من مجموع مكونات التي تركب منها حقيقته فهو يعني بذلك المكونات مثل: الأسرة، الثقافة، المدرسة، المحيط الخاصين بالفرد، ويعتبر بأن الهوية هي الأساس في بناء "الأنا" و بهذا تشير الى تمييز الفرد في سياق القيم المشتركة بجماعته.

كما أكد **موران** أيضاً، بأن الهوية هي بمثابة "عقدة وثيقة" بين تشابه الانسان مع الغير و الاختلاف معهم. *أما الهوية عند الانتروبولوجي الفرنسي **اسحاق شيفا (Isac Chiva)**^{٢٦} هي: "القدرة على أن كل واحد منا يجب أن يكون على بيئة من استمرارية الحياة من خلال الأزمات والتغيرات والتصدعات..".

*ومن جهة أخرى في احدى المقالات بعنوان "الهوية و الاستراتيجيات الهويةية" للباحثة **مارتي بلار (Marti Pilar)**^{٢٧} قد حددت مفهوم الهوية على أنه يشمل كل ما هو مشترك بين أعضاء فرقة، مثلاً القوانين، والقيم، والمعايير التي يتقاسمها الفرد مع جماعته. فالانتماء الى أي ثقافة يتم من خلال تقاسم القيم و المبادئ التي تحملها هذه الثقافة.

٥- مفهوم الهوية عند المفكرين العرب:

اهتم المفكرين العرب أيضاً، بظاهرة الهوية، بسبب ما تعرضت له ثقافات شعوبهم من مخاطر الذوبان في ثقافات الغير، فسنذكر بعض التعاريف والمفاهيم التي أسسوها لمصطلح الهوية:

²⁴ <http://ha3imna.babyme.org/t571-topic> 09 03 2013

²⁵ Morin E « La méthode 2. La vie de la vie » Paris, Le Seuil 1980 p. 271.

²⁶ Joël CANDAU « Mémoire et Identité » France Puf 1998 p07

²⁷ Marti Pilar « Identité et stratégies identitaires », EMPAN 2008/3, N° 71, p. 56-59.

*فالهوية في الثقافة العربية هي الامتياز عن الأغيار من كافة النواحي وهذا اللفظ يطلق على ثلاثة معان : التَّشخيص، والشخص نفسه، والوجود الخارجي... وجاء في كتاب (لأبي البقاء الكفوي أنما بهالشيء هو باعتبار تحققه يسمى حقيقةً وذاتاً. وباعتبار تشخيصه يسمى هويةً. وإذا أخذاً من هذا الاعتبار يسمى ماهيةً.. وجاء في هذا الكتاب أيضاً أن الأمر المتعقّل من حيث أنه مقول في جواب (ما هو) يسمى ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقةً ومن حيث امتيازها عن الأغيار يسمى هوية^{٢٨}.

*لا يخرج مفهوم الهوية "Identity" في مدلولاته الحديثة عن التشخيص والشخصية وهو ما قال به ابن حزم في "الفصل" أين حدد بأنه: "هو كل ما لم يكن غير الشيء فهو هو بعينه"

*والهوية عند الجرجاني^{٢٩} في كتابه (التعريفات) الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتغال النواة على الشجرة في الغيب المطلق.

*ويذهب المفكر وليد خالد حسن^{٣٠} إلى أن الهوية : " تتمخض عن عملية تاريخية طويلة ومعقدة نتيجة تفاعل مجموعة عوامل بعضها الغير مادية مثل اللغة و الثقافة و التجربة التاريخية المشتركة، و بعضها مادي مثل الجغرافية والاقتصاد تؤدي إلى صهر مجموعات بشرية معينة ضمن كيان قومي موحد".

وتعقيباً على ما يؤكده هذا المفكر، لا يسعنا إلا أن نذكر ما جاءت به بعض النظريات التي تشيد بالوجه "الموضوعي" (conception objectivist) للهوية الثقافية، فتصفها وتعرفها انطلاقاً من معايير أساسية موصوفة بـ "موضوعية" مثل : السلالة المشتركة التي ينحدر منها الأفراد، وكذلك اللغة، والثقافة، والدين، والشخصية "الأساسية" والارتباط بجهة أو ناحية (ما أشار له المفكر العربي بجغرافية) وعبر تبادلات وتعاملات (الإقتصاد) وبصف أدق إن "الموضوعيين" يعتبرون أن أي جماعة إنسانية لا تكتسب لغة لها ولا ثقافة تخصها ولا موطن تقطن به ولا صفات خاصة تتميز بها ، فلا يمكن لمثل هذه الجماعة أن تدعي أنها تكون مجموعة إثنية /ثقافية (ethno-culturelle) ولا يمكنها أن تزعم أنها تكتسب هوية ثقافية حقيقة.

*ومن أشهر المفكرين العرب الذين اهتموا في كتاباتهم على الهوية هو الدكتور "محمد عابد الجابري"^{٣١} الذي بين بان الدين لا يشكل هوية إلا بالتقابل مع دين آخر، فالإسلام يمكن القول عنه هو هوية المسلمين ولكن فقط مقابل دين آخر كالسيحية واليهودية... واعتبر الجابري الدين كعنصر في الوقت ذاته جامع و مُفرق للمجتمعات، ولذا فهو يختار التعامل مع الهوية الثقافية التي تجمع الدين بمذاهبه الدينية لأنه جزءاً منها.

و يُبين الجابري بتعدد الثقافات بالرغم من مساعي "العولمة" لإحلال "ثقافة" عالمية موحدة ومن هنا يكون لزاماً على أصحاب الثقافات الحفاظ على كيانهم ووجودهم الذي يتجسد في الثقافة ويُعكس بالهوية.

^{٢٨} (مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية) عدد خاص من الملتقى الدولي حول الهوية ورقة بحثية للأستاذة بوز غاية بابة، والأستاذ بن داود العربي. ورقة

^{٢٩} الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات بيروت دار الكتب العلمية ١٩٩٥ ص ٢٥٧

^{٣٠} وليد خالد حسن ٢٠١٠/٠١/١٠ www.alsabaah.com

^{٣١} www.mukalla-online.com 25 02 2013

كما أشار الجابري إلى ثلاثة مستويات، تتحرك من خلالهم "الهوية": -فردية -وجمعية - ووطنية قومية:

- فالفرد داخل الجماعة الواحدة، قبيلة كانت أم طائفة أم جماعة معينة، هو عبارة عن هوية متميزة ومستقلة عبارة عن "أنا" لها "آخر" داخل الجماعة نفسها: "أنا" تضع نفسها في مركز الدائرة عندما تكون في مواجهة مع هذا النوع من "الآخر".

- والجماعات، داخل الأمة، هي كالأفراد داخل الجماعة، لكل منها ما يميزها داخل الهوية الثقافية المشتركة، ولكل منها "أنا" خاصة بها و"آخر" من خلاله وعبره تتعرف على نفسها بوصفها ليست إياه.

- والشيء نفسه يقال بالنسبة للأمة الواحدة إزاء الأمم الأخرى، غير أنها أكثر تجريداً وأوسع نطاقاً وأكثر قابلية للتعدد والتنوع والاختلاف.

هذه المستويات الثلاث تتحدد أساساً بنوع "الآخر" الذي تواجهه، وهذه الدوائر غير ثابتة تتغير، وتتسع وتضيق حسب الظروف والمصالح.

* كما أورد أيضاً الفيلسوف اللبناني علي حرب الذي شغلت تفكيره مطولا "مسألة الهوية" قال: "ليست هوية المرء مجرد مهادنة خاوية مع النفس، وإنما هي صيغة مركبة وملتبسة بقدر ما هي سوية مبنية على التعدد والتعارض، وهي عقدة من الميول والأهواء بقدر ما هي شبكة من الروابط والعلاقات، وهي توليفة من العقائد والمحرمات بقدر ما هي صيرورة نامية ومتحركة من التحولات والتقلبات".^{٣٢}

فالفيلسوف هنا، يؤكد على طابع أو صفة الصيرورة التي تتميز بها الهوية، فالفرد خلال فترات حياته والتي يكتسب منها تجارب وثقافة محيطه الذي يعيش فيه، بما يحتويه هذا الأخير من تغيرات وتحولات يؤسس من خلالها هويته والتي تستمر في البناء عبر الزمان والمكان.

٦- أصناف الهوية:

الهوية الاجتماعية Identité Sociale:

ان ظاهرة الهوية الثقافية تشير منطقاً الى ظاهرة الهوية الاجتماعية التي هي احدى مكوناتها. ففي نظر علم النفس الاجتماعي، تُعتبر الهوية كوسيلة للتفكير في الارتباط، عند الفرد بينما ما هو نفسي و ما هو اجتماعي.

فالهوية الاجتماعية تُعبر عن حصيلة مختلف التداخلات بين الفرد و محيطه الاجتماعي سواء كان القريب أو البعيد.

والسوسيولوجي دنييس^{٣٣} Denys Cuhe يبين بأن الهوية الاجتماعية عند الفرد تتميز، بمجموعة من الانتماءات داخل النظام الاجتماعي، مثلاً: فهي تدل على انتماءه الى الفئة الجنسية، الفئة العمرية، الانتماء الى الوطن...

^{٣٢} علي حرب خطاب الهوية (سيرة فكرية) الجزائر منشورات الاختلاف ٢٠٠٨ الطبعة الثانية

^{٣٣} Denys Cuhe « La notion de culture dans les sciences sociales » Repères , La Découverte, France 2010

□ الهوية الاثنية Identité Ethnique :

الهوية الاثنية هي وعي مجموعة تتشارك في نفس الانتماء الجغرافي، والانحدار من نفس العرق، واللغة أو اللهجة الواحدة، والنمط المعيشي المشترك..لها موقعها الاقتصادي و السياسي و الثقافي مقارنة مع مجموعات أخرى من نفس الدولة، وغالبا ما كانت هذه الهوية محظورة سياسيا في الكثير من الدول باسم الحفاظ على "الوحدة الوطنية".

□ الهوية الوطنية: Identité Nationale³⁴

الهوية الوطنية لها علاقة بالهوية الاثنية والتي هي الوعي بالانتماء الى شعب يكون تحت راية الدولة الواحدة له واجب مراقبة أرض معينة الحدود و الدفاع عنها ضد الأجبيين ويساهم مواطنوه في مصير مشترك، وتاريخ واحد.

الهوية الوطنية تسمح للحكومات بتوحيد الجماعات اجتماعيا وثقافيا وسياسيا، وكثيرا ما تتناسى الهوية الإثنية للأسباب سياسية .

ويصف الدكتور أحمد بن نعمان³⁵ الهوية الوطنية فيقول: "إن هوية أي أمة من الأمم هي مجموعة الصفات أو السمات الثقافية العامة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد الذين ينتمون إليها، والتي تجعلهم يعرفون و يتميزون بصفاتهم تلك عما سواهم من أفراد الأمم الأخرى."

□ الهوية الجماعية Identité collective :

أكد دورايس (Dorais) (بأن كل فرد يُؤسس هويته الخاصة به ويضعها في خدمته بصفة شخصية. هذه الهوية تتكون من علاقات تُفسر تحاور الفرد مع محيطه كان امرأة، رجل غني، فقير، جامعي...والكائن البشري لا يعيش بعزله، فكل فرد يجب عليه الانتماء إلى مجتمع أو مجموعة أفراد التي يتبادلون و لو بصفة جزئية ، في فهم العالم ويتعاونوا من أجل بلوغ أهداف جماعية فالهويات هي أيضاً جماعية بها أنها متبادلة بين مجموع الأفراد.

□ الهوية الثقافية Identité culturelle :

تجمع الهوية الثقافية كل ما هو مشترك بين أفراد المجموعة كالقواعد والمعايير والقيم..فالانتماء لثقافة يعبر بالانتساب لقيم ومعايير هذه الثقافة. (Pilar Marti)

وشبه دورايس³⁶ (DoraisLouis-Jaques) الهوية الثقافية بالvirورة والتطور Processus، أين تتشارك مجموعة من الأفراد طريقة معينة وموحدة لفهم الكون، ويتشاركون في الأفكار وأشكال السلوك، واعين باختلافهم مع مجموعة أفراد أخرى. فالهوية الثقافية تظهر جليا عندما يتفاعل ويتداخل الحاملين للهوية مع أفراد لهم ثقافة مختلفة عنهم.

٧- الهوية الثقافية من المنظور السوسيولوجي والانتروبولوجي:

³⁴ Anderson Benedict « L'imaginaire national » Paris la découverte 1996

³⁵ د. أحمد بن نعمان. الهوية الوطنية: الحقائق و المغالطات الجزائر شركة دار الأمة. ١٩٩٦ بدون طبعة الصفحة ٢١

³⁶ Dorais, Louis-Jaques et Edmund Ned Searles « Identités inuit/Inuit identities » Etudes/Inuit/Studies 2001 251-2p 9-35

الهوية الثقافية كمفهوم في العلوم الاجتماعية، يكتسي عدة معاني حسب المختصين و حسب المواضيع الاجتماعية التي تطرقوا لها، فحاولنا خلال البحث ذكر دراسات أهم المفكرين الذين تعمقوا في دراستها: *فنبداً الحديث عن السوسيولوجي الكندي دورايس (Louis-Jacques Dorais)³⁷ يُعرف الهوية على أنها "ليست ثابتة، ولكنها تتصف بديناميكية التي تبرز عندما تُستخدم".

فهذا الاستعمال للهوية يبرز حسب الطريقة التي نتصرف بها لكي نبرهن عن من نحن؟ عندما نقوم بالتعامل مع العناصر الانسانية أو غير انسانية المحيطة بنا. فهي كذلك تعتبر عن الصفة التي ينفل بها الناس أمام مواقفنا، ويلعب التعبير اللغوي دوراً أساسياً في استخدام الهوية وذلك بسبب سيولة استخدامها في الوقت الحقيقي الذي يسمح للفرد أن يتفاعل على الفور مع تأثيرات الوسط".

ف دورايس (Dorais) يعتبر الهوية الثقافية على أنها عملية متحركة تركز على التصرف والتعبير وعلى أنها تلك الصيرورة التي يتم بفضلها عند مجموعات من الأفراد الذين يتشاركون في الكثير من الصفات لفهم العالم وكيف يؤثر على محيطهم وكيف ينشرون أفكارهم وأنماط تصرفاتهم وشعورهم بأنه يوجد أفراد آخرون في مجموعات أخرى الذين يفكرون بصفة مختلفة و يتصرفون و يتعاملون بصفات تختلف عن صفاتهم.

فالهوية الثقافية تظهر عند حاملين "ثقافة" مهما كانت شفوية أو مكتوبة و الذين يصبحون في تداخل مع أفراد تختلف ثقافتهم عنهم بصفة ملحوظة.

ويُفسر دورايس (Dorais) مفهوم الهوية الثقافية بصفاتها غير موضوعية بحيث تفضل العلاقة التي تصبح موضوعية بين حاملين الثقافات في علاقتهم فيما بينهم أو مع الآخرين. فالتفسير الذي أعطاه للهوية الثقافية له وجهين: وجه التشابه ووجه الاختلاف، فنحن متشابهين مع عشيرتنا أو رفاقنا أو فيما بيننا و في الوقت ذاته نختلف و نتميز عن الآخرين الذين لا ينتمون إلى مجموعتنا: "الهوية الثقافية هي مجموعة كل الصفات التي تطبع أي شعب من نمط حياته و رأيته للعالم".³⁸ وعلى حد تعبيره فإن الهوية لها صبغة تأثيرية وهي متواجدة دائماً عند الأفراد أو الشعوب فكل فرد يملك إحساسه بهويته الفردية، الشيء الذي يجعله يختلف عن الغير.

ويضيف دورايس (Dorais) أن الهوية تُعتبر أساساً كتلك الصفة التي يبنها كل إنسان بالنسبة لمحيطه، ويوضح أن الهوية تكتسي ثلاثة معاني أساسية:
(أ) أن الهوية علاقة وليست صفة قائمة في حد ذاتها عند الفرد وحده وجود آخرين فيرى أن الأفراد يشعرون بحاجة لوجود هويتهم عندما يتأكدوا بأنهم ليسوا وحدهم في هذا العالم، بل أن الوسط الذين ينتمون إليه يتكون من أفراد آخرين الذين يأخذهم بعين الاعتبار.
(ب) أن الهوية علائقية Rationnelle لأنها قابلة للتحويلات حسب الظروف التي تغير العلاقة مع المحيط، فلهذا ليست معطى مطلق، وهي مبنية حسب صيرورة على طول الحياة، فبناء الهوية يعكس لنا تاريخ كل فرد وكل مجتمع.

³⁷Louis-Jacques Dorais « La construction de l'identité ». Département d'anthropologie. Université Laval. page 3

³⁸Louis-Jacques Dorais Ibid page 5

ج) فالهوية هي تلك العلاقة التي تُبنى مع المحيط الخارجي للفرد، بمعناه الواسع بحيث لا يقتصر على الوسط الطبيعي الذي يشمل كل أعضاء الوسط الذي يعيش فيه الإنسان.. فتعمق دورايس (Dorais) في البحث عن أنواع أخرى من الهوية و يُفصلها و يعطيها أبعادها مثل: الهويات الجماعية التي تعني مجموعة العلاقات والتداخلات بين الافراد والتي يشتركون فيها و يقصد من خلال ذلك الهوية الثقافية.

*ويقول كاميليري (Camilleri) عن الهوية: "بالرغم من الخاصية المتحركة (غير ثابتة) تبعا للمواضع و المتغيرة عبر الزمن للهوية، الفرد يحافظ فيها على وعيه ووحدة بقائه و معترف به عند الآخرين بأنه "هو"³⁹.."

*وعلى حد تعبير الفيلسوف الفرنسي: ميشال ساسس (Michel Sesses)⁴⁰ فان الهوية تُعرف بخاصية طبع من التحولات غير منتهية.

*و يعتبر السوسيولوجي الفرنسي جون كلود كوفمان (Jean-Claude Kaufmann) تكوين الهوية يتم عن طريق أدوار نلعبها في المشهد الاجتماعي.

*أما اللغوي و السوسيولوجي الأمريكي قوفمان (Erving Goffman)⁴¹ يُبين بأن هوية الفرد تتحقق بلعبة التداخل التي تنتج بالتضاد بين الهوية مُعرفة بالآخر و هوية الذات. Soi.

*كما تطرق الفيلسوف الفرنسي اتيان باليبار (BALIBAR Etienne) إلى الهوية الثقافية التي يُبين بأنها متذبذبة حول الاعتقاد، ويؤكد بأن الهوية الثقافية ما هي اليوم إلا صورة للهوية الوطنية.⁴²

*ومن المفكرين المعاصرين الذين بحثوا حول مسألة الهويات الثقافية، السوسيولوجية الفرنسية جنيفيا ففانسونو⁴³ ترى بأن العالم اليوم يشهد عدة صراعات باسم الهويات، لان كل جماعة اجتماعية تعمل على إثبات جذورها و تاريخها وتعمل على رسم حدود لوجودها خوفا من فقدان حدودها، لان الشعوب تعيش تخبطات في نظام التمثلات الأساسية للوجود. كما أن المجتمعات تعيش صدمة أنواع الثقافات والتي تجعلها أمام تجربة قاسية لتأسيس تشكيلات هوياتية.

فالانتماء الذي تجسده الهوية الثقافية، يُميز كل جماعة عن أخرى، ويصبح ينتقل كالإرث للفاعلين، لان المجتمعات تمر طبيعيا بالصراعات وحركية التغير.

ومميز المفكرة الفرنسية فانسونو⁴⁴ أبعاد بناء الهويات الجماعية وهي: اللغة والتاريخ والاثنية، والممارسات الثقافية اليومية؛ وترى بأن "الدين" كظاهرة يأخذ مكانة مهمة في تكوين الهوية

³⁹ CARMEN Camilleri cité par Vincent de Gaulejac in « Vocabulaire de psychologie » paris Eres 2002

⁴⁰ Michel Serres « L'incandescent Edit le pommier » livre de poche 2003 p 153

⁴¹ E. GOFFMAN « La Mise en scène de la vie quotidienne » 1. La présentation de soi, Paris, 1973 (1re éd. 1959).

⁴² BALIBAR Etienne « Identité culturelle, Identité nationale » Quaderni 1994 p 53-65

⁴³ Geneviève Vinsonneau « L'Identité Culturelle » Armand Colin Paris 2002

⁴⁴ Geneviève. Vinsonneau Ibid p143

الثقافية ويمكن أن يعمل كوسيلة للتعريف الجماعي التي تسمح بربط الأفراد بمجموعة أو الدفاع والمقاومة ضد مجموعة متسلطة.

وضمن هذا السياق، وضحت كيفية عمل الهوية الثقافية وعناصرها خاصة الدينية من أجل الدفاع أو محاربة الآخر خلال الرهانات السوسيولوجية الحاضرة. وتقصد الباحثة بأن **الهوية الثقافية** سلاح بيد الشعوب المغلوبة على أمرها، ووسيلة للحفاظ على وجودهم المتجسد في الثقافة، فالهوية الثقافية تقترن بالانتماء والوجود.

واستنتجت أيضاً، بأن الهوية هي صيرورة لانجاز نظام رمزي، فلذلك الهوية لا تورث ولا تكتسب نهائياً، كما تبرر ذلك بتسارع التبادلات الإنسانية وعولمة الاتصال وتوسع عدم التجانس الثقافي. وبفعل حركية التداخلات الثقافية *interculturelle* لا أحد يكون مغلق بهوية خاصة به وبذلك منظومة قيمه و ثقافته تأخذ تشكيلات جديدة بفعل الاحتكاك الثقافي.

وذكرت **فانسونو (G. Vinsonneau)** انتماءات الفاعلين الاجتماعيين إلى مجموعات ثقافية متميزة، وإن استعمال مفهوم "بين الثقافات" *interculturelle* يمثل في الوقت ذاته وجود الهوية و الاختلاف عن الآخر وتجربة التموضع كل واحد بوجهة الآخر. فالباحثة تضيف عبر مجموعة من المؤشرات الفيزيولوجية والرمزية، التي تمنح لنا وسيلة التفريق بين التمثيلات والاختلافات الجدلية عن الآخر وبهذه الوسيلة يتحقق التعرف على الهويات.

وتخلص **الانثروبولوجية فانسونو⁴⁵** في كتابها « Culture et comportement » لمعنى الهوية بأنها: "تُشير إلى أمرين، أولهما هي مجموعة من الظواهر أي نيتيم عبرها التعرف على صفات الذات من طرف الفاعلين الاجتماعيين، الذين يعطونها معنى ومضمون. ومن جهة أخرى تشير الهوية إلى المحتوى الذي تصل إليه هذه الظواهر. فالهوية تتحقق عبر وساطة صيرورات جدلية المتكونة من دمج المضادات، وأين المتشابهات تتراكم مع الاختلافات لربط الماضي مع الحاضر والمستقبل.

لهذا نرى أن كل إنسان هو حقيقة ما هو عليه، هنا يدعى **بالهوية المطلقة**، أو ما يتمنى أن يكون و هو ما يسمى **بالهوية المرجوة**، وما هو المطلوب أن يكون فهي **الهوية المفروضة أو المسيطرة**. فهذا النوع من تكوين الهوية يكون متجذر بقوة في الواقع المحسوس؛ وهو يستجيب بشكل خاص الى الصراعات الاجتماعية، فلهذا السبب نرى في بعض الأحيان تحلل هوية الأفراد بصفتها **هوية الانتماء**." كما لاحظنا بأن السوسيولوجية **فانسونو** ركزت على تكوين الهوية الثقافية عبر التاريخ، ومن خلال مجموعة من العناصر، وقد ركزت على ميزة الهوية بأنها مكتسبة.

* وفي تسلسل الفكرة ذاتها، يذهب **أمسال (J.L.Amselle)** إلى أن خلال البناء الهوياتي وبالأخص عند الاثنية و القبيلة تتأسس عندهم مميزات على أساس اللغة والفضاء والتقاليد والاسم والنسب الواحد والوعي بالانتماء المشترك⁴⁶ أي أن مسألة الشعور بالانتماء مهمة وأساس في البناء الهوياتي.

⁴⁵Geneviève Vinsonneau. « Culture et comportement » Armand Colin Pris 1997page 179

* ويأخذ تصورات كوندو^{٤٧} (Joel CANDAU) (دكتور متخصص في الانتروبولوجيا) في كتابه "ذاكرة وهوية" حول بناء الهوية الثقافية او الجماعية، يُوجه تفكيرنا الى "الذاكرة" كأهم العناصر و رابط بين البناء الاجتماعي والهوية؛ فالذاكرة تُعد إعادة بناء و وفاء للماضي وهي أهم عنصر للهوية الفردية و الجماعية.

* وهذا الانتروبولوجي ازاك(Isac Chiva^{٤٨}) يرى بأن الذاكرة تُؤسس الهويات الجماعية و هي "قوة الهوية Force d'identité" و يؤكد بأن الذاكرة هي الهوية و يُدعمان بعضهما.. فلا يوجد بحث عن الهوية بدون ذاكرة و لا يمكن الفصل بينهما.

* كما توصل ادغار موران(Edgar Morin)^{٤٩} إلى إمكانية بناء هوية بشرية مشتركة انطلاقاً من عناصر الوحدة التي تجمع بين البشر، فهي وحدة إزاء الموت ومشارك في الثقافة والسوسيولوجيا، مؤكداً من أنه ليس هناك تعريف للثقافة الذي يشمل جميع الثقافات من غير النظر إلى اختلافاتها... وثمة اختلاف بشري، كما ثمة وحدة داخل الاختلاف البشري، وكذلك اختلاف داخل الوحدة البشرية؛ ولا ينبغي للاختلاف الشديد أن يخفي الوحدة، ولا للوحدة الأساسية أن تخفي الاختلاف.

* ويرى فريدريك بارت ((F.Barth ١٩٦٩ م^{٥٠} بأن الهوية ذلك النظام الذي يتكون من نسيج الوضعية العلائقية بل هو من تجلياتها، فالهوية في رأيه ظاهرة مركزية في نظام العلاقات بين الجماعات و تستخدم خارجها لأغراض التصنيف (من يشابهنا و من يختلف عنا) و تنظيم التبادلات في كل مجالات الحياة.

ويذهب بارت((Barth في دراسته "الحدود بين الجماعات الاثنية"^{٥١} إلى أن التمايز بين الهويات الثقافية يرجع في الحقيقة إلى نوعية العلاقات بين الجماعات و الطريقة التي تبرز بها الاختلاف ضمن تلك العلاقات، وبالتالي فان الهوية ليست معطى أولياً و نهائياً بل إنها في حالة بناء دائم ينبغي دراستها من خلال الوضعية العلائقية.

خاتمة:

أصبح مفهوم الهوية الثقافية يظهر على الساحة العالمية، و صاحبه مفاهيم كالصراع الهوياتي والأزمة الهوياتية... برزوا كردة فعل على سلبيات هذه الايديولوجية، و بطبيعة الحال مجتمعات العالم الثالث هي من الأوائل التي تبنت "الهوية الثقافية".

فالهوية الثقافية صارت تهم مثقفين هذه المجتمعات للدفاع عن هوياتهم وثقافتهم وبالتالي وجودهم، لان الهوية حسب ما رأيناه سابقاً، هي مسألة "وجود" و "انتماء" كما أن الهوية الثقافية تصلح كأداة للتمييز وكذلك أداة للإدماج والإقصاء، فالهوية تنشأ على صورة بناء اجتماعي يؤدي إلى الانتماء إلى مجموعة.

⁴⁶ Geneviève Vinsonneau « L'Identité Culturelle » Armand Colin Paris 2002 p119

⁴⁷ Joël CANDAU « Mémoire et Identité » France Puf 1998

⁴⁸ Joël CANDAU « Mémoire et Identité » France Puf 1998 p07

^{٤٩} دغار موران "النهج، إنسانية بشرية، الهوية البشرية" ترجمة د. هناء صبحي. هيئة أبو ظبي للثقافة و التراث ٢٠٠٩ الطبعة الأولى. ص ٨٢.

^{٥٠} د محمد العربي ولد خليفة المسألة الثقافية و قضايا اللسان و الهوية الجزائر منشورات ثالة ٢٠٠٧ ص ١١٢

^{٥١} د محمد العربي ولد خليفة مرجع سبق ذكره ص ١١٢

فالهوية الثقافية صيرورة تتطور إلى الأمام و العكس، فهي ليست معطى جاهز و لا نهائى، و لكن تنمو بتجارب حاملها ومختلف احتكاكاتهم مع هويات ثقافية أخرى.

- Vinsonneau, G. (1997). Culture et comportement (p. 52). Paris: Armand Colin.
- Rocher, G. (1992). Culture, civilisation et idéologie. Introduction à la sociologie générale. Première partie: L'action sociale (3rd ed., pp. 101–127). Montréal: Éditions Hurtubise HMH Itée.
- Mead, M. (1955). Mœurs et sexualité en Océanie (p. 252). Paris: Plon.
- Bonte, P., & Izard, M. (2008). Franz Boas. In Dictionnaire d'ethnologie et d'anthropologie (pp. 116–118). Paris: PUF.
- Journet, N. (2002). La culture, de l'universel au particulier. Paris: Éditions Sciences Humaines.
- Cuche, D. (2001). La notion de culture dans les sciences sociales (p. 4). Paris: La Découverte.
- Cuche, D. (2001). La notion de culture dans les sciences sociales (p. 83). Paris: La Découverte.
- Morin, E. (1980). La méthode 2. La vie de la vie (p. 271). Paris: Le Seuil.
- Candau, J. (1998). Mémoire et identité (p. 7). Paris: PUF.
- Pilar, M. (2008). Identité et stratégies identitaires. EMPAN, 71(3), 56–59.
- Dorais, L.-J., & Searles, E. N. (2001). Identités inuit / Inuit identities. Études/Inuit/Studies, 25(1–2), 9–35.
- Dorais, L.-J. (2001). La construction de l'identité. Département d'anthropologie, Université Laval, pp. 3–5.
- Camilleri, C. (2002). In V. de Gaulejac, Vocabulaire de psychologie. Paris: Éres.
- Serres, M. (2003). L'incandescent (p. 153). Paris: Livre de Poche.
- Goffman, E. (1973). La mise en scène de la vie quotidienne: 1. La présentation de soi. Paris. (1st ed. 1959)
- Balibar, E. (1994). Identité culturelle, identité nationale. Quaderni, 53–65.
- Vinsonneau, G. (2002). L'Identité culturelle (pp. 119, 143). Paris: Armand Colin.
- Moran, E. (2009). Le méthode, humanité et identité humaine (H. Sobhi, Trans.). Abu Dhabi: Abu Dhabi Authority for Culture and Heritage (1st ed. 2009, ترجمة عربية).

Varenne, H. (2013, February 24). Varenne.tc.columbia.edu. Retrieved from <http://www.varenne.tc.columbia.edu>

Aafaqcenter. (2013, March 9). Retrieved from <http://www.aafaqcenter.com/index.php/post/1419>

Aljabriabed. (2013, March 19). France_identité. Retrieved from http://www.aljabriabed.net/france_identite.htm

ERUDIT. (2013). Laurent Giroux. Retrieved from <http://www.id.erudit.org/iderudit/203138ar>

Ha3imna. (2013, March 9). Retrieved from <http://ha3imna.babyme.org/t571-topic>

Alsabaah, W. K. (2010, January 10). Retrieved from <http://www.alsabaah.com>

Mukalla Online. (2013, February 25). Retrieved from <http://www.mukalla-online.com>

المراجع العربية

محمد العربي ولد خليفة. (٢٠٠٧). المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية. الجزائر: منشورات ثالة، ص. ٤٦، ٥٠، ١١٢.

الشريف، علي بن محمد. (١٩٩٥). التعريفات. بيروت: دار الكتب العلمية، ص. ٢٥٧.

عمارة، محمد. (١٩٩٩). مخاطر العولمة على الهوية الثقافية (سلسلة في التنوير الإسلامي، العدد ٣٢). القاهرة: دار نهضة مصر.

علي، حرب. (٢٠٠٨). خطاب الهوية (سيرة فكرية). الجزائر: منشورات الاختلاف، الطبعة الثانية.

أحمد بن نعمان. (١٩٩٦). الهوية الوطنية: الحقائق والمغالطات. الجزائر: شركة دار الأمة، ص. ٢١.

بوزغاية، & بن داود العربي. (٢٠١٠ تقريبًا). الهوية. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص من الملتقى الدولي حول الهوية، ورقلة.

بياريونت، & ميشال إيزار. (١٩٩١). معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا. لبنان: ترجمة مصباح الصمد.

عبدالغني غالي فارس. (٢٠١٠ تقريبًا). [يمكن إدراجه كمؤلف عند الحاجة].